عن الواو . ٤ً وياء النداء . ٥ً الضمير . ٦ً وياء الاستقبال . ٧ً وياء الاشباع : ٨ً وياء الاضافة . ٩ً وياء الجمع . ١٠ً وياء التصغير . ١١ً وياء النسبة . ١٢ً وياء التثنية

١ً فياء الاصل نحو : رَمَى يرمي . ٢ً وياء الزيادة مثل كَثِير . ٣ً وياء البدل عن الواو مثل بَيد وقيلَ . ٤ً وياء النداء نحو : يا زيد . ٥ً وياء الضمير نحو : تَضربين . ٦ً وياء الاستقبال نحو يَضرب . ٧ً وياء الاشباع نحو : عَلَيه . ٨ً وواو الاضافة نحو : غلامي . ٩ً وياء الجمع مثل : رأيتُ المؤمنين . ١٠ً وياء التصغير مثل : عُمَيْرة . ١١ً وياء النسبة نحو : رجلٌ بصريّ . ١٢ً وياء التثنية مثل : رأيت الغلامَين (١)

تمّ والله اعلم بالصواب

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

المطران بطرس ضوميط مخلوف

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب

ان فضل الرهبنة اليسوعية على الطائفة المارونية يبيّنه ما خلا اعمال مرسليها في اقطارنا الشرقية تفوّقها في تهذيب الناشئة الاكليريكية . ولا يخفى مقدار ما آتاه اليسوعيون من الخدمات الجليلة في سبيل تاريخ بلادنا ومعرفة احوالها فان الآثار التي تُبعث من رمسها تشهد على السواء بعطف الباباوات على الموارنة وثقتهم بالرهبنة اليسوعية في الامور الهامّة واعتمادهم اياها في تنفيذ مقاصدهم النبيلة

وحسبُ ان نكتب حياة بعض الذين درسوا الفضائل والعلوم الكهنوتية وتلقنوا القيد والنشاط في المدرسة الرومانية المارونية الاولى على يد الاباء اليسوعيين فاستفادوا وافادوا طائفتهم بل الكنيسة نفسها بسيرتهم واعمالهم وخلفوا ذكرًا طيبًا ومآثر خطيرة

(١) وتبدل الياء من الهمزة كأَلمِيّ ويَلمِي والبَرَقان والأَرقان ورجل أَلَنْدد ويَلَنْدد اي شديد الخصومة . وتبدل من السين في خامي وسادي اي خامس وسادس

ولقد باشرت جمع ما وصلت اليه يدي من الآثار لعلّ المولعين بتاريخ النصرانية في الشرق بل بتاريخ الشرق عموماً ينهجون طريقاً سلكهُ من قبل اباء الرسالة اليسوعية وتلامذة المدرسة المارونية فتحرّوا المخطوطات والتواريخ واذاعوا اجساد الكنيسة الشرقية

وقد سهل هذا العمل الاباء اليسوعيون اذ خصّصوا لهُ مجلّة المشرق التي بلغت مقاماً رفيعاً في عالم التاريخ بنشرها آثار المتقدمين والمتخلفين وهم يتلقون برحابة صدر ما يُرسل اليهم ممحّصاً مستوفياً شروط النقد التاريخي فيدرجونه فيها تعميماً لفوائده

ولم اتبع في ما عزمت على نشره ترتيباً تاريخيًّا بل رغبتُ في اطلاع القراء على ما تمكنت من تحصيله وما رأيت في اذاعته فائدةً تذكر لمجد الله والكنيسة ومنفعة القراء ديناً وعلماً

واستهلتُ دروسي هذه بلمحة عن المطران بطرس مخلوف الغوسطاوي الذي تولى تدبير ابرشية قبرس وذكرهُ مؤرخو هذه الابرشية كأنه مطرانان احدهما دعوه المطران بطرس ضوميط والآخر المطران بطرس مخلوف وكلاهما في الحقيقة واحد وقد ورد ذكر المطران بطرس مخلوف في لائحة تلامذة المدرسة المارونية الرومانية الدوبيهي التي نشرتها مجلة المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٢٠٩ ; ٢٧٠) . وفي تاريخ الازمنة الخطي للمؤلف نفسه وفي زجليّة القس الياس القزيري التي نشرها الاب لويس شيخو في المشرق ايضاً (٢٠ [١٩٢٢] : ٧٢٤–٧٢٢) ودُعي فيها بطرس الغسطاني وفي حياة البطريرك اسطفان الدويهي التي ألفها الطيب الذكر المطران بطرس شبلي وفي كتابات عديدة لا تزال خطيّة توفقت الى جمع شتاتها من هنا وهناك

١ نسب المطران بطرس

هو سليل عائلة الخوري ضوميط احد فروع عائلة باسيل التي ذُكر عنها انها انت من مينا طرابلس الى غوسطا كما ورد في وريقة قديمة من مخطوطات المكتبة البطريركية المارونية . وقال المرحوم المطران بطرس شبلي ان اصلها من قصبة اهدن . وسبب هجرها تلك النواحي هو ان بعض افرادها قتل خصمهُ في مينا طرابلس فخافوا ان يثأر منهم ومن عائلتهم اهلُ القتيل فلاذوا بكسروان واستوطنوا غوسطا

وكان الفارّون ثلاثة اخوة عُرفوا جميعهم ببيت باسيل ومنهم الحكيمية والتزيلية وبيت الخوري دوميط وبيت الحاسب . والى بيت باسيل ينتمي بيت بو مخايل سمعان الذين سكنوا في غوسطا وبيت ابو شقرا اسحق الذين استوطنوا غزير ومنهم الراهب حنا (١ المعروف بالبرّي أُطلقت عليه هذه الصفة لانه كان يحب العزلة لبس اسكيم الرهبنة في دير قزحيا ثم رحل الى قبرس فقضى فيها مدة ثم جاء الى مار اسيا قدير مار موسى الحبشي فوق بعبدات ثم ساقية المسك حيث توفاه الله ودفن

وكان جدّ الحكيمية وبيت الخوري ضوميط يُدعى يعقوب فالخوري ضوميط ولد مخلوفاً الذي رُزق اربعة اولاد دعي اكبرهم يوسف الذي تزوّج واحتفظ باسم ابيه اما الثلاثة الباقون فترهّبوا اثنان منهم في دير مار شليطا متبس وهما ضوميط ومرقص والثالث أُرسل الى رومية وهو بطرس المترجم . وسيم ضوميط قسّاً وخدم الراهبات في دير حراش حيث رقد بالربّ ودُفن . واما مرقص فارسله البطريرك يوسف ابن حليب الى رومية بعد ان رقّاه الى درجة الشماسية الانجيلية وهناك انتقل الى راحة الصالحين ودفن قرب مار يوحنا المعمدان المبنيّة على اسمه المدرسة المارونية في رومية . ومرقص هذا اسمه مذكور في الشحيمة التي طبعت في رومية في ذلك العهد

وقد جاء في تاريخ الازمنة للدويهي :

« ان البطريرك الجديد (يوسف بن حليب) ارسل سنة ١٦٤٥ قصاده الى رومية القس عبد المسيح ابن الطويل الحدثي والشدياق بطرس بن مخلوف الغوسطاوي ليرميا الطاعة للبابا زخيا العاشر ويهنّئاه بالدرجة السامية ويطلبا منه التثبيت ويلتمسا منه التكرُّم على الطائفة بطبع الشحيمة بخط رفيع والتراطيق السرياني الذي ألّفه البطريرك جرجس بن عميرة . وفي شهر ايلول من السنة الثانية اعطاهما على ما يخاطرهما وارسل للبطريرك تثبيتاً وعدّة كاملة مع درع الرئاسة »

فلا ريب ان في ذلك غلطاً ارجّحه من الناسخ الذي بدل اسم مرقص باسم بطرس

---

١) ذكره الدويهي في تاريخ الازمنة سنة ١٦٣٧ قال ما ملخصه : وكان قاطناً في محبة مار مخائيل القسّ حنا بن اسحق بن البرّي من قرية غوسطا . فقتن الشيطان بينهم (المطران بولس السمرا واخيه (القس سمعان) بسبب الماء والحربان . . . فقدم القس حنا عرضحال شكاية في رهبان قزحيا الى الامير عساف فارسل هذا اليهم يطلب دراهم واذ لم يرضوهُ اقتادهم الى جبيل حيث عُذّبوا عذابات مختلفة واخذ منهم ٤ آلاف غرش

لان مرقص مخلوف هذا لم يكن مشهورًا عند العموم كاخيه . ويتبيّن لك ان رسول البطريرك يوسف بن مليب هو مرقص لا بطرس من العريضة التي رفعها اساقفة الطائفة الى الكردينال بربريني محامي الموارنة وفيها يعلمونه بوفاة البطريرك جرجس بن عميرة وبانتخاب خلفه يوسف بن حليب في ١٥ آب سنة ١٦٤٤ ويلتمسون مواصلة عطفه عليهم وعلى الطائفة وقد ذكر في هذه العريضة اسم موفدي مجمع الاساقفة لطلب التثبيت فاذا هما يوسف بن ايليا ومرقص راهب القديس انطونيوس . والعريضة المذكورة مذيّلة بتواقيع اسحق مطران صيدا (١ وايليا مطران اعدن (٢ ويوحنا مطران حوقا (٣ وبولس مطران قزحيا (٤ وقد ترجموا من السريانيّة الى اللاتينية

١) نرجح انه اسحق الشدراوي الشهير الذي نشر المشرق رواية رحلاته الى بلاد المغرب (السنة الثانية للمشرق ص ٩٣٩) ومما يؤيد ظننا هو ان البطريرك يوسف بن حليب كان مطرانًا على صيدا ورسم على طرابلس في سنة ١٦٤٦ المطران مخائيل سعادة الحصروني . فلو كان الشدراوي باقيًا على كرسي طرابلس لما سام البطريرك اسقفًا آخر على الكرسي نفسه . امّا الشدراوي فولده كان في قرية شدرا من بلاد عكار في اواخر الجيل السادس عشر ارسله البطريرك يوسف الرزي الى رومية ليدرس فيها العلوم الكنيسية في المدرسة المارونية التي كان الاباء اليسوعيون يديرونها فنال شهادة الملتنة سنة ١٦١٨ . ثم عاد الى لبنان فتزوّج ثم سيم كاهنًا سنة ١٦١٩ وخدم رعية بيروت . وبعد ان توفيت امرأته أقيم اسقفًا على مدينة طرابلس في ٢٥ آذار ١٦٢٩ فخدم ابرشيته بنشاط وعزز النصرانية في كسروان وسافر اربع مرات الى اوربة وفي المرة الاخيرة سعى بالقنصلية للشيخ ابي نوفل الخازن وتوفي هناك ثم نُقل الى صيدا كما ترجّح . ومات في جبيل سنة ١٦٦٥ ودفن في كنيسة مار يعقوب في سهل جبيل . له تآليف كثيرة عدّدتها مجلة المشرق في السنة التي تقدم ذكرها . ويذكر الدويهي انه مات سنة ١٦٦٣ (راجع تاريخ الازمنة).

٢) ابن الحاج حنا من الصراصرة قضى في القدس نحو ٢٠ سنة واشترى للطائفة دار الازيّ مع الفندق انطونيوس الراهب وبامر البطريرك ذهب الى رومية برفقة الاسقف جرجس بن مارون سنة ١٦٠٩ . سيم اسقفًا سنة ١٦٣٨ على اعدن وحلب وتوفي سنة ١٦٥٩ وخدم النفوس بكل غيرة وتقوى وهو الذي فتح سوق القلعة في زغرتا واضافه الى الكنيسة التي ضاقت بالوافدين اليها

٣) هو البطريرك يوحنا الصقراوي اسقف حوقا وذكر الاب طوبيا العنيسي « انه اسقف عرقاه غلطًا . انتخب بطريركًا بعد البطريرك يوسف بن حليب ١٦٤٨ وكان قضى ١٢ سنة في الاسقفية كما ذكر الدويهي في تاريخ الازمنة

٤) هو ابن جلوان السمراني وابن اخي الاسقف مركيس السمراني حبيس قزحيا سيم اسقفًا على قزحيا ١٦٢٦ شكاه ابن البرّي الى الامير عساف هو ورهبانه فاقتيد الى جبيل حيث عذّبه الحاكم ليأخذ منه ٩ آلاف غرش كما ذكرنا ونرجح انه مات سنة ١٦٥٦ لانه في تلك السنة سيم في محله ابن اخيه القس ابرهيم السمراني

سرهج بن غرون تلميذ المدرسة الرومانية وصدّق صحة الترجمة جرجس الخاقلي وبطرس ضوميط . فهل يسوغ القول ان المصدّق هو نفس الوفد ؟

٢ دروسه وسيامته واعماله الاولى

اما بطرس بن ضوميط مخلوف فانتخبه المطران يوسف بن حليب والاب كرتي اليسوعي بناء على امر البطريرك جرجس بن عميره ليذهب الى رومية فيتهذّب في مدرستها فاستصحبه الاب المذكور سنة ١٦٣٩ مع اربعة عشر تلميذاً اختيروا من كسروان وصيدا والجبّة وغيرها . وفي رومية انكبّ بطرس مخلوف على الدروس الاكليريكيّة وبرع فيها كما انهُ تروّض على ممارسة الفضائل الكهنوتيّة ثم عاد الى وطنه في ٧ ت ١ ١٦٥١ ولبس اسكيم الرهبنة في دير مار عبدا هرهريا الذي كان قد خصّص من مدّة قريبة للراغبين في العيشة النسكيّة كما روى الدويهي في تاريخ الازمنة . ثم انتقل الى دير مار شليطا مقبس وفيهِ سيمَ قسّاً وقضى مدّة من الزمن . وبعد ذلك ارسلهُ الدويهي الى مار عبدا المشقّر المبني على رابية فوق نهر الكلب فاهتمّ بشؤونه كل الاهتمام ومنهُ ذهب الى مار يوحنّا زكريت (١ وموقعه في اسفل القرية المعروفة بهذا الاسم لا يبعد عن مار عبدا الى الجنوب سوى نصف ساعة . فجعل المقام ديرًا واقتنى لهُ رزقاً وجمع لهُ مالاً كما ذكر هو نفسه في مذكراته الخطية المحفوظة عندنا

---

١) وقفنا على صورة شهادة تاريخها سنة ١٧٨٠ وقّعها انقس بولس خادم الدير المذكور واليك نصّها : « وجه تحريره هو ان عتوق اولادنا بيت الكرزل من جهة دير مار يوحنا زكريت لهم عوايد من زمان الذين سلفوا قبلنا وهي لم تتغير وهي شوفتهم وقيمتهم وصلاتهم لان الدير مختصّ بهم واذا ملّوا من البر او مشيوا في رزق الدير او اخذوا من رزق الدير شيء لم تمنعهم عن ذلك والذي يكون شيخ يقبض البري من المذكورين له على الرئيس كل سنة قرمل عنب والذي يتوه او ينقطع من المذكورين وله خاطر يقعد في الدير ما عليهِ مانع واذا جاء احد يترهّب في الدير في زماننا فنشاورهم وان طلعنا من الدير تعطيهم حساب المدخول والمصروف وكتبنا لهم هذه الوثيقة لاجل البيان صحّ صحّ والذي يبدها وضيفة (وظيفة) من الراهبات تفل في وضيفتها حتى تعجز عن ذلك بخاطرها ورضاها صحّ صحّ »

ولكن يظهر ان الذين تسلّموا تدبير الدير لم يقوموا بذلك حق قيام فعهد البطريرك يوسف التيان بادارته الى القس دانيال الجميّل وكيل ابرشيّة قبرس ليصلح حاله وذلك سنة ١٨٠٩ في ٦ ت١ . وارسل بذلك منشورًا الى اهالي بيت شباب وما يليها كي لا يعترضوا الوكيل بمهمّته هذه

ومن يوم عاد الى لبنان اخذ في التنقيب عن الآثار الخطية الموجودة في ادیرته من ذلك ما ورد في مذكراته التي اشرنا اليها حيث قال انه وجد في ذلك الدير اي مار يوحنا زكريت انجيلاً قديماً مخطوطاً فعلق عليه الملحوظات الآتية :

« ومار متى : وجدنا له نسخاً مختلفة تفصيل القربانات . في مار يوحنا زكريت وجدنا انجيلين الواحد ٧٨ قربانات والآخر ٨٠ . وقربان ٣٥ في النسخة الواحدة يبتدي من هذا الكلام : « فلما خرج ابصر جمعاً كثيراً فتحنن عليهم وابراء اعلام » . والنسخة الاخرى تبتدي بما يتبع : « ولما كان الماء جاء تلاميذه الخ » . وقربان ٣٦ النسخة الواحدة تبتدي من هذا الكلام : والوقت امر تلاميذه ان يصعدوا الى السفينة ويسبقوه الى العبر ليطلق الجموع » . والنسخة الاخرى تبتدي بما يتبع : « وحين صرف الجمع صعد الى الجبل وحده الخ » . قربان ٤١ في الواحدة يبتدي من هذا الكلام : « حينئذ اوصى تلاميذه الا يقولوا لاحد انه يسوع المسيح » . والاخرى تبتدي مما يتبع : « وبدا يسوع من ذلك اليوم الخ » . قربان ٦١ النسخة الواحدة تبدأ في : « الويل لكم يا كتبة ويا فريسيون يا مرآون لانكم تبنون قبور الانبياء » الخ . الى ذلك الكلام : « لا يترك حجر على حجر الا وينقض » . والاخرى تبدأ : « من اجل هذا هانذا ارسل اليكم انبياء الخ » . الى ذلك الكلام « مبارك الآتي باسم الرب » . وفي قربان ٦٥ يتفق النسختين (كذا) »

ويستنتج مما خطته يد المترجم الفاضل انه طاف اغلب قرى لبنان وجمع او فحص ما وجد فيها من مخطوطات كما فعل في جزيرة قبرس بعد ارتقائه الى كرسي ابرشيتها . وقد رأينا ذكر البعض القرى والنواحي التي أتمها في ما كتب وفي سجل حسابات الدويهي . وبين هذه القرى بكفيا حيث وجد شخيصة قديمة عند الخوري حاتم من مشايخ بيت الجميل وكان الخوري يدعى قبل رسامته فياضاً وله نسخة حسنة من كتاب « تذكار آلام سيدنا يسوع المسيح » . ثم بحنس حيث عثر على كتاب قديم سرياني فيه صورة الحلة والكتاب وجده عند خادم القرية المدعو الخوري يوسف . وزار بيت شباب والرومية في كسروان وفيها وقع له ان رأى انجيلاً عند الخوري رزق الله فيه من قربانات القديس متى ٧٤ ومن القديس مرقص ٤٣ ومن القديس لوقا ٧٤ ومن القديس يوحنا ٤٩ ووجد انجيلاً كرشونياً في قرية ايطو [1] ووجد ميمرين لمار يوحنا

---

١) كتب على هذا الانجيل ما نصه : « سنة ١٦٦٥ وباية الملك كرلس قيصر ارسل بدلة اطلس بذهب كسر الى قنوبين مع الشماس جرجس بن ابرهيم العاقوري وحط البطرك عليها حرم انها لا تضبر من قنوبين »

فم الذهب «في الاحد» في قرية دلبتا وفي قرية غبالة حظي بكتاب قداس مخطوط وجد فيه نافور كسوسطس وقد جاء فيه : « الكاهن يقصي (سريانية بمعنى يكسر) الجسد ويجعل الجسد ثلاث جمرات (سريانيـة بمعنى الجزء المكرس من القربان) على الصينيّة والاخرى يمسكها في يده ويغمسها في الدم ويرسم الذي في الصينيّـة ويقول: ܒܫܡ ܐܒ ܘܒܪ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ . ويرمي الجمرة في الكاس »

وتحتوي مذكرات القس بطرس مخلوف امورًا كثيرة غير هذه سننشر منهـا ان شاء الله ما تهمّ معرفته

وفي سنة ١٦٦٨ ارسله البطريرك جرجس البسبعلاني الى رومية مع القس الياس عويضه الغزيري(١ ليؤدّيا بالنيابة عنه فروض التهنئة والاخلاص والطاعة للبابا الجديد اقليمس التاسع ويقضيا في الوقت نفسه بعض شؤون الطائفة . ففي غضون اقامته في رومية نقل المتعبّد الشتوي الى اللغة اللاتينية ليُعرض على الفاحصين فيرخّصوا بطبعه . وبقي في عاصمة الكثلكة سنتين اعتنى في خلالهما بنسخ الكتب وبامور الطائفة . ومما نقله كتاب ܡܫܚܐ ܡܥܡܕ ܠܐ ܡܘܬ ܡܘܬܒ الموجود في الخزانة البطريركية المارونية وقد جاء في آخره

« انه كمل سنة ١٦٧٠ على يد الحوري بطرس الراهب الماروني في رومية حينما ارسل ليرمي الطاعة للبابا اقليمس التاسع الذي تولّه الله في ٩ ك ١ ١٦٦٩ وقام بعده اقليمس العاشر وفي ايامه كمل هذا الكتاب المبارك المؤلف من الاب القديس البطريرك يوحنا مارون بطريرك انطاكية صلاته تحفظنا امين . وكان بطركنا نحن الموارنة بقنوبين حين فراغنا من كتابته البطريرك اسطفانوس ادامه الله لنا زمانًا طويلًا امين . والـذي يقرأ يصلي على الخاطي الذي خرطش ولا يتعب لانه في ١٥ يومًا كتبه كله في شهر ت ١ . والسلام على والدة الله »

---

١) القس الياس عويضه الغزيري من رهبـان دير شليطا مقبس عينه البطريرك يوسف بن حليب العاقوري لخدمة الكرسي البطريركي وابقاه البطريرك يوحنا الصفراوي فيها واتخذه له معلم اعتراف وكان ورعًا تقيًا . ارسله البطريرك جرجس البسبعلاني الى رومية مع القس بطرس مخلوف كما رأيت اعلاه ولم نهتدِ الى معرفة سنة وفاته . وقد ذكر حضرة الاب شيخو في المشرق (١٩٢٣) انه يوجد في المكتبة الفاتيكانية كتاب عدده ٢١ خط سنة ١٦٦٩ فيه بعض زجليات لابن القلاعي في الجامع والمرطقات وفي ايمان الموارنة المستقيم وحروب لبنان يليها ثلاث زجليّات لناسخ الكتاب القس الياس المذكور في وصف رومية وفي مديح تلامذة المدرسة المارونية الاولى وفي رثاء البطريرك يوحنا الصفراوي

ولما عاد القس بطرس الى لبنان كان الدويهي ارتقى الى الدرجة البطريركية فاتخذه له كاتباً ثم ما لبث ان رقاه الى رتبة الاندبيوطية وسهّل له طرق التنقيب والعمل ووكل اليه زيارة الرعية وجمع النورية فانه ارسله في سنة ١٦٧٢ الى جهة الشمال فزار البهلولية (قرب اللاذقية) وقبرس وجمع فيها العشور ووزّع المساعدات كما ورد مفصّلاً في دفتر حسابات الدويهي

وقد استخرج كتاب «حياة المسيح» من اللاتيني الى العربي سنة ١٦٧٤ . وجمع في كتاب دعاه مفتاح البيعة موجود منه نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين الشرقية في بيروت مقالات عديدة ألّفها وافرغها في شكل اسئلة واجوبة باشر فيه بالماء المصلّى ثم تناول الكلام في الانجيل والحبر الاعظم فالكنيسة فشرح مشاكل الانجيل . اما الناسخ فهو القس سليمان من مشمش . ويلي هذه مقالات في المجامع المسكونية ثم في صحة الكتب المقدسة ثم في القرآن وتفنيد مزاعمه واقوال صاحبه في عشرين فصلاً

٣ ترقيته الى الدرجة الاسقفية واعماله فيها

فمثل هذه الاجتهاد كان خليقاً بمكافأة تليق به فسنحت الفرصة للدويهي ان يقدّر اعمال كاتبه بعد انتقال المطران لوقا (١ القرياطي مطران جزيرة قبرس الى رحمته تعالى وكان هذا الاسقف احتمل من الاروام والحكام هو وابناء ابرشيته اضطهادات كثيرة

---

١) لوقا القرياطي ولد في قبرس في قرية قرياطيا او قرياشا المارونية وارسل الى رومية سنة ١٦١٤ مع الاب جبرس المطوشي القبرصي الماروني الذي دخل الرهبنة اليسوعية . فدرس العلوم اللاهوتية وتهذّب على يد الآباء اليسوعيين ثم عاد الى وطنه ورقي الى درجة الكهنوت وسنة ١٦٢٧ أرسل الى رومية قاصداً باسم الطائفة الى البابا اوربانوس الثامن . وفي الجزيرة تعب كثيراً وخدم النفوس ٤٣ سنة بكل غيرة ونشاط فرقي الى البرديوطية ثم في سنة ١٦٧١ ساعد الدويهي مطراناً على الفقوسية عاصمة قبرس وجرى ذلك في دير مار شليطا مقبس حيث كان الدويهي مقيماً . وقد عاونه في سيامة الاسقف الجديد المطارنة جرجس حيقوق وجبرائيل البلوزاني ويعقوب الراهي . لكن المطران لوقا لم يعش غير سنتين في الاسقفية ثم نقله الله الى دار الابرار وبموته اصيب الموارنة في قبرس ببلايا كثيرة واستولى الحكام على املاك الكرسي بدسائس متروبوليت الاروام هيلاريون جيفالا

ففي اليوم الرابع من تموز ١٦٧٤ يحضر المركيز اوليه الى نوانتيل سفير ملك فرنسة في الاستانة وفي البطريرك الدويهي القس بطرس مخلوف الى كرسي جزيرة قبرص فعاونه في سيامته المطارنة جرجس حبقوق البشعلاني (١ ويعقوب الرامي (٢ وبولس الدويهي (٣ وحنا تولاوي (٤ وجمهور غفير من الاكليرس . اما السفير الفرنسي فانه كان عائداً من رحلته الى الاراضي المقدسة حيث اشرف على تنفيذ العهود السلطانية المتطوعة للملك فرنسة وتفقد شؤون النصارى فزار بطراباس ومنها صعد الى قنوبين كرسي البطاركة ليزور مركز الطائفة المارونية وبيعة فرنسة فاعجبهُ ما رأى من احوال الموارنة وكتب مذكرات حوت خواطرهُ في غضون رحلته . ومما لفت انظاره سذاجة الشعب الماروني وطيب سريرته وتعلقه بالديانة الكاثوليكية وبرؤسائه واخلاصه للملك فرنسة حماة حريتهُ وسلطانه لدى السلطان

وقد وصف المؤرخ المدقق ألبر ڤاندال زيارة السفير ثم قال : «هناك يقيم الموارنة الذين اتخذهم القديس لويس تحت حمايته وتبنتهم فرنسة . فهرع مقدمو القرى ورجال الاكليرس على اختلاف طبقاتهم الى استقبال اخوانهم القادمين اليهم من الغرب وكان هؤلاء يلبثون مبهوتين من نشاط هذا الشعب ذي الاخلاق الرضية الساذجة »

ولما دنوا من قنوبين خف لاستقبالهم البطريرك يحفُّ به مطارنته واكليرسه ودخلوا

---

١) المطران جرجس حبقوق سيم اسقفاً على العاقورة في ٢٤ آب ١٦٦٨ وسكن قنوبين اولاً ثم انتقل الى دير مار شليطا قبرص ثم الى ريفون حيث توفي في ٣ آب سنة ١٧٠٣ . ترأس هذا الاسقف مجمع انتخاب الدويهي وحرر كثيراً واتصف بصفات جليلة وكان يطالع الكتب ويسطر عليها ما يعلمه من الحوادث وقد ذكر شيئاً عن البطاركة الذين جلسوا على الكرسي الانطاكية في ايامه ونشر فقرات له في مجلة المشرق (السنة الخامسة ص ٦٨٨ وما يليها) سفرة الاب ابرهيم حرفوش وقد ورد عنه شيء كثير في «حياة الدويهي» للمرحوم المطران بطرس شبلي

٢) يعقوب الرامي (من رام بلاد البترون) سامه البطريرك يوحنا الصفراوي اسقفاً على دمشق في ١٥ آب ١٦٥٣ خلفاً للمطران يوسف عجمه الكرمداني

٣) بولس الدويهي بن سركيس الدويهي عم البطريرك اسطفان الدويهي الشهير خلف المطران الياس الاهدني الذي ورد ذكرهُ سابقاً على كرسي اهدن سنة ١٦٥٩ وسكن دير مار سركيس راس النهر ومات قبل سنة ١٦٩٠

٤) حنا التولاني اسقف صيدا سيم سنة ١٦٦٩ وتوفي بعبدات في ١١ نيسان سنة ١٦٨٠ وهو يزور الرعية

بهم الكنيسة المنارة بالشموع بين التراتيل والبخور فرتلوا جميعاً ترنيمة الشكر . ثم ارى البطريرك السفير صورة الملك معلّقة على جدار الكنيسة التي سيم فيها المطران بطرس مخلوف

ولما اجتمعوا حول مائدة البطريرك يحيط به اساقفته خيّل لهم انهم ملتئمون «في علّية صهيون» . ثم زار السفير الارز الخالد القائم على جبل المسقية وهناك أعد مذبح احتفل عليه بالذبيحة الالهية البطريرك الذي رافقه في تلك الزيارة

وقد أعجب السفير بتقوى الدويهي ومحبته لفرنسة واسهابه في اطراء حسناتها وافضالها . وقبل ان يغادروا الارز قدم البطريرك للسفير قطعة من لبّ خشب الارز كي يُحفر فيها رسم الملك لويس الرابع عشر . وخشب الارز بصلابته وعدم فساده ورائحته الزكية يرمز الى الثبات والنقاوة واريج عواطف الموارنة المخلصين لفرنسة كما عُبّر عن ذلك في قصيدة لاتينيّة تليت امام السفير ترحيباً به وثناء عليه

اما الاسقف الجديد فلم يدّخر في خلده قط ان الاسقفية محط رحاله رقي اليها ليتمتع بالراحة بل انها مسرح اوسع لغيرته فضاعف اجتهاده في سبيل خير النفوس ومنفعة ابناء ابرشيته بل الطائفة جمعاء . وقد شهد له البطريرك اسطفانوس الدويهي انه «بذل مجهوده في سياسة الرعية وصار له تعب ومعارضة في جزيرة قبرس» من طائفة الروم

وما مرّ شهر على سيامته حتى اكمل نسخ الشرطونيّة وعلّق على كل باب من ابوابها حواشي مفيدة تنقل منها للقرّاء ما توفقنا اليه . فكتب في آخر رتبة تكريس الطبليت ما نصهُ :

«وكان الفراغ من ذلك سنة ١٦٧٤ ربانية في ٢٨ آب في دير قنوبين في القلاية المعروفة بالغال في ايام سيدنا مار اسطفانوس الذي كان حينئذٍ في كسروان وكان حاكم الجبة ناس (من) الدولة وكان آغا في احدن (يدعى ابرهيم) وكان شكلّساً قدامه الشيخ كرم بن صهيون الهدناني (وابو شديد غصيبه بن كيروز البشراني) . وكان محبوساً في طرابلس الشيخ احمد حماده وكان سرحال حاكم بلاد جبيل والبترون ولم يكن يقدر يعمل شيئاً لان كانت ابنته وزوجها محبوسين في طرابلس . ولمّوا مال الجبّة للدولة تلك السنة وما احد تعارضهم وكان الشيخ ابو نوفل طوّل الله عمره حاكم كسروان ارسل اخذ لعنده البطرك مار اسطفان لانه فزع لئلّا يقوم الحاكم يحكمه ويكسر ناموسه . وصلّوا على كاتب الاحرف مطران بطرس مخلوف الوسطاري الكسرواني والله يرحم من يترحّم علينا»

وفي آخر رتبة تكريس الميرون يذكر انه انتهى من كتابتها في ايام البطرك

اسطفانوس ويزيد بالسريانية ما ترجمته «وهو الذي رسمني اسقفاً على قبرس سنة ١٦٧٤ في شهر تموز»

وكان المطارنة في تلك الايام يقيم اغلبهم بقرب البطريرك وهو يرسلهم مناوبة الى زيارة الرعايا فيتفقدون الشؤون ويجمعون العشور وكان بعضهم يسكن الاديار . اما الذين كانوا يرسمون على كراسي موقعها في خارج لبنان فانهم لم يكونوا يستطيعون المكوث فيها بسبب الظلم وقلة ذات يدهم وتعدي المراطقة عليهم

فالمطران بطرس مخلوف اقام في الكرسي البطريركي فاستنابه الدويهي مرات عديدة في تتميم الزيارة الرعائية كما رأينا ذلك مسطراً في دفتر حسابات هذا البطريرك فزار اولاً رعيته في قبرس اكثر من مرة (١٦٧٥ و١٦٧٦ و١٦٧٧ و١٦٨٢ و١٦٩٠ و ١٦٩٨) . وكان يثبت الاحداث ويرسم الكهنة وينظر في حاجات الرعية ويجمع «النورية» ويأتي الكنائس والطائفة بالمساعدات التي يرسلها الدويهي الى موارنة قبرس وفي سنة ١٦٧٦ رسم القس عمانوئيل خريستوديا على قرية غبلين والخوري اندراوس ابن الشماس على قرية قرياصيا (او قرباشا) والخوري عيسى بن مخائيل على قرية اسوماتوس وفي السنة التالية في ٢٤ حزيران رسم الشماس منصور بن جرجس التولاني كاهناً وعينه لخدمة كنيسة غبلين ورقى الى الدرجات الصغيرة جرجس بن خريستوفي في القرية نفسها . وفي سنة ١٦٨٢ رقى ابن القس يوحنا خادم قرباشا وجرجس التولاني الى الدرجات الصغيرة

وهذه قد وجدتها مسطرة في كتب صلوات قديمة كانت موجودة في تلك الجزيرة يوم زرتها في ايار سنة ١٩٠٧ بخدمة الطيب الاثر المطران بطرس الزغبي مطران قبرس

اما سائر الجهات التي زارها المطران بطرس مخلوف فمذكورة ايضاً في دفتر حسابات الدويهي . فانه زار الجبة (١٦٧٩) وبسكنتا ومزارع كسروان (١٦٩٠ و ١٦٩٥ و١٦٩٦ و ١٦٩٧ و١٦٩٨) برفقة الدويهي نفسه وزار بلاد صيدا وبلاد شمال (١٦٩٧) وجاب قاطع بكفيا ثلاث مرات

ويؤيد كلامنا عن تواتر زيارته لقبرس ما جاء في تقرير القنصل الفرنسي سوفان الذي سنذكره حيث قال ان مطراناً كان يأتي كل سنة لتفقد احوال الموارنة في قبرس

وكان المطران بطرس في اثناء زياراته المتعددة يبحث عن الكتب الطقسية

والمعلومات التاريخية ويحرر كل ذلك في اوراق جمعها كريمة السعدي الحظ بالحصول على بعضها وهي كثيرة الفوائد تتضمن امورًا تاريخية ولاهوتية وعلمية وروحية . وكثيرًا ما كان ينشط المتنين بهذه الامور ويساعد النساخ فيذكرون اسمه بالثناء.

٤ اهتمامه بموارنة قبرس

وفي سنة ١٦٧٧ اشتدت الحكومة التركية في قبرس على الموارنة بدسيسة متروبوليت الاروام هيلاريون جيغالا الذي كان قد درس في رومية ثم عاد الى بلاده فاستعمل ما اقتبسه من علوم اماكنة الكثلكة . فهذا المتروبوليت اغتصب الاسقفية وتألف الى الاتراك وبذل لهم المال ليمكنوه من الاسقفية وامواله ثم عاد بمساعدتهم فتقاضى الموارنة والاروام انفسهم مال الظلم . وكان الحاكم التركي يرى بانبساط ذلك الاسقف يطاطئ الرأس امامه متذللًا متوسلًا ان ينعم عليه ببعض التفوذ لا على الموارنة فقط بل على رعيته عينها

فلما أحرج الموارنة حوّلوا انظارهم الى صديقتهم ومحاميتهم كسابق عاداتهم وبسطوا ظلامتهم لقنصلها في قبرس وكتبوا الى الحبر الاعظم يتوسّطونهُ فاستنهض همّة لويس الرابع عشر على يد السفير البابوي في باريس فكتب الملك الى ده نوانتيل في ٢٠ ت ١ من سنة ١٦٧٧ يوعز اليه بان يسعى جهده لمساعدة الموارنة على نيل مطاليبهم واهمها ان يُعفوا من ولاية المتروبوليت المذكور وسائر الاروام وتسلطهم . فلبّى السفير امر مولاه لكن تراجمته الاروام كانوا يرغرون صدر رجال الدولة على الكاثوليك كما لحظ ده نوانتيل نفسه فيمنعونهم عن اجابة طلب السفراء فاعلم الملك بذلك في ١٣ ك ٢ ١٦٧٨ قال : « ان التراجمة الاروام يوسوسون للصدر الاعظم انه من الواجب ان يُذلّل الخاضعون للبابوية لانها دولة اجنبية »

وما كان رجال الدولة العثمانية يعرفون من احوال الرعية الّا جمع المال فانهُ يوم قدّم السفير للصدر الاعظم تذكرة بخصوص الموارنة سأله : « من هم الموارنة واي بلاد يقطنون ؟ »

ولمّا لم يهتم الباب العالي بشكوى الموارنة ازداد جيغالا غطرسةً وجورًا وفرض على الموارنة ضرائب كان يجبيها بواسطة « شوباصية » الحكومة فاستأنفوا الشكوى الى

الكونت ده جيراردين خلف ده نوانتل وكتب اليه الاب ده جردين اليسوعي مادحاً المارنة وتعلقهم بالايمان القويم وبملوك فرنسة واستنجده ليدفع المظالم. وكان المطران بطرس مخلوف أمّ رومية سنة ١٦٧٩ بعد ان زار موارنة الجزيرة فاغتنم فرصة وجوده في عاصمة الكثلكة ليحمل الكرسي الرسولي والسفارة الفرنسية فيها على بذل ما بوسعهما لتخليص رعيته من هذا الجور ويستدل بتقرير القنصل سوڤان على مساعي الاسقف الجليل قال في ٢ ايار ١٦٨٦ :

« يوجد ست او سبع قرى مارونية في الجزيرة تدفع الخراج ويأتي كل سنة اسقف لزيارتها . وهذا الاسقف هو تحت حمايتنا وبه اوصانا مجمع انتشار الايمان المقدس . اما الاروام فيبذلون كل ما بوسعهم ضد الموارنة . ومن نحو ٥٠ سنة كانت كنيسة حلب تخص هذه الطائفة ولم يكن منها عائلة واحدة في الفرنسيسكان بل يوجد هناك كاهن واحد يقوم بخدمة القنصل الروحية . فهذا الكاهن اتفق مع الاباء الفرنسيسكان واصلح الكنيسة وابقاها في يد هؤلاء الاباء . وقد وافق المجمع المقدس والبطريرك الماروني على ذلك . وفي سنة ١٦٨٤ جعل المجمع المقدس هؤلاء المرسلين تحت ولاية محافظ الاراضي المقدسة عوض ان ينصب عليهم مديراً رسولياً كما جرت العادة . وهؤلاء المرسلون يزورون القرى المارونية يقارنون فيها المؤمنين ويسمعون اعترافاتهم فيقضون في القرية بضعة اشهر يقومون في اثنائها بخدمة كنيسة أعطيت لهم تحت هذا الشرط وموقع هذه الكنيسة في وسط القرى المارونية »

وقد ارفد القنصل كاهنين يحملان المراسيم الى السفير في الاستانة فبلغاها في آخر شهر حزيران من سنة ١٦٨٨ فسعى السفير سعياً متواصلاً لاغاثة الموارنة مرغوبهم

وكتب بهذا المعنى الى الاب ده جردين المرسل اليسوعي صديق الوارنة الحميم

وقد ورد في عريضة الوارنة التي اثبت نصها المرحوم الاب رباط اليسوعي في مجموع « الاثار الخطيّة » ذكر المظالم التي كان الحكام والاروام ينزلونها بالوارنة ومما قالوه انهم طائفة مؤلفة من ١٥٠ مكلفاً يلتمسون من السفير ان ينجيهم من المظالم التي لا يزال الاتراك والاروام يوقعونها بقراهم وهي ثمانية : كورماجيتي وقرباصية (قرباشا) وسوماتو (السوماتوس) وغميلين وڤونو وكليديني وسانتا مارينا وكوشيدا (١) .

(١) كل هذه القرى متقاربة موقعها في الشمال الشرقي من الجزيرة

وكانت الطائفة من قبل قد أُحصيت فبلغ عدد مكلفيها ٥٠٠ (وفي ايام الدويهي كان عدد النسمات ٣ آلاف) يدفع كل منهم خراجاً قدره اربعة غروش فاصبحوا ١٥٠ بسبب وفاة الكثيرين وهجرة الآخرين تخلصاً من الباس والجور لان جابي الخراج يريد ان يدفع الموجودون عن الاموات والغائبين . فهذا الظلم تطلب الطائفة ان يرفع عنها كما انها تطلب ان لا يُعذَّب الباقون حينما يدفعون الخراج . وكانت جرت العادة ان يدفع كل مكلف للباشا ثلاثة ارباع الغرش اما الآن فيطلب منهم خمسة غروش تجبى عنوةً واقتداراً

وكذلك كان يؤخذ الخراج من المطارنة والكهنة والشمامسة الموارنة الآتين من لبنان مع ان مثل هذا الامر لا وجود له في غير جزيرة قبرس . والمطران الرومي يتقاضى ظلماً مطران الموارنة وكل كنيسة مارونية اربعين او خمسين غرشاً في كل سنة . فهذه المظالم لا قبل للطائفة بها فهي ترجو بلسان موفديها ان يرفع عنها الجور وتُعفى من ولاية متروبوليت الاروام ومن الضرائب المفروضة على كنائسها ومطارنتها واكليرسها وذلك لانهم خاضعون للكنيسة الكاثوليكية وان لا يُكره الموارنة على اقامة فروضهم الدينية حسب الطقس الرومي لانهم ابناء الكنيسة المارونية المتحدة مع كنيسة رومية

(لها بقيّة)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تحرف الميم

٧٥٠ ﴿مكاريوس المصري﴾ هو القديس المعروف بالكبير تلميذ القديس انطونيوس والمتوفى نحو السنة ٣٩٢م . له في مكتبة بطريركيّة الاقباط في الاسكندريّة نسخة قديمة من عظاته الخمسين لم يُذكر عربيّها . وهي مترجمة عن اليونانيّة